أدب الاعتراف والبوح
في مذكرات الجواهري

د٠ سليمان سالم السناني (*)

المقدمة :

منحت الحياة الطويلة التي منحها الله لمحمد مهدي الجواهري له وقتاً ليفسّر لنا شعره بمذكراته، ويجعل كل بيت كتبه دالاً على حادثة مرّت به، أو مرحلة مهمة عاشها، ولعلّه بهذا أراد أن يؤكد مدى الارتباط بين حياة الشاعر وشعره، وأن الشاعر مهما قيل عن مصادر البوح المتعددة لديه فلا يمكن بحال تجاهل حياته الشخصية التي تمدّه بما يعجز الخيال واستلهام تجارب الآخرين عن إمداده به، ومن هنا جاءت قيمة هذه المذكرات المستوحاة من الشعر إن جاز لنا القول.

واختيار أدب الاعتراف من بين الموضوعات الكثيرة التي زخرت بها المذكرات مردّهُ إلى طرافة هذا الباب من جانب، ووفرته في المذكرات من جانب آخر، فنراه يعترف تارة بممارسات تمسّ الأخلاق، وأخرى تتناول الجانب الاجتماعي، وثالثة تتناول علاقته بالمتدينين، ورابعة مادتها الرئيسة السياسة وتقلباتها في تلك المرحلة القلقة من تاريخ العراق التي عاصرها الجواهري وكان أحد شهودها.

ولعل من أهم أسئلة هذا البحث: هل استثمر الجواهري هذه المذكرات في الكشف عن جوانب خفيّة في حياته لم يكشفها شعره؟ وهل وجد في فن السيرة الذاتية الفضاء الملائم للاعترافات؟ وهل فطن لأهمية الاعترافات في السيرة وأن تلك الاعترافات عماد السيرة الذاتية في أدب الغرب المعاصر، التي قلّ أن نجدها في أدب السيرة عند العرب قديماً وحديثاً؟ وهل استخدم التقنيات السردية في سيرته

(*) أستاذ الأدب الحديث المساعد – جامعة طيبة.

الذاتية، وأدرك أهميتها في فن السيرة، التي لا تقلّ بحال عن أهميتها في الفنون السردية الأخرى؟

من أجل هذه التساؤلات جاء هذا البحث، وسأحاول – قدر استطاعتي – الوصول إلى إجابات ترضي نهم هذه الأسئلة، فسيرة الجواهري ليست سيرة عابرة، فهو بالإضافة إلى شاعريته الفذة رجل صحافة وسياسة، وأثره في تاريخ العراق الأدبي والسياسي والاجتماعي الحديث تشهد به الكتب الكثيرة التي تناولته، والأثر الذي تركه بعد رحيله في نهاية القرن المنصرم.

أما منهجي في هذا البحث فعماده الوصف والتحليل، وسأتناول في التمهيد سيرة الجواهري لأهميتها في رصد مواطن الاعتراف، ثم أحدد –وفق تصنيف الأجناس السردية – نوع هذه السيرة، هل هي نثرية أو شعرية، وأبيّن علاقة السيرة بالاعترافات، وتأثر الجواهري باعترافات جان جاك روسو، وفي المبحث الأول أتحدث عن ماهية البوح، وأنواعه في مذكرات الجواهري، وأما المبحث الثاني فيتناول التقنيات السردية التي استخدمها الجواهري في مذكراته.

الدراسات السابقة:

نال الجواهري عناية فائقة من الباحثين، وقل أن يتلمّس الباحث جانباً من الجوانب في شعر الجواهري أو حتى حياته دون أن يجد فيه دراسة أو أكثر، ومع هذا لم أجد الاهتمام المنشود في نثر الجواهري وخاصة مذكراته التي كتبها وهو في منفاه الأخير، حتى تلك الدراسات التي تناولت المذكرات جاءت بمشاركة الشعر، مثل: دراسة أحمد بهاء عبد الرزاق، ومقدام الفياض (مصر في شعر الجواهري ومذكراته: دراسة تاريخية)، وهي دراسة نشرت عام ٢٠١٣ وتناولت علاقة الجواهري بمصر وأثر تلك العلاقة التاريخية في شعره، وعلاقة الجواهري بشعراء مصر، شوقي وحافظ والمازني، وصداقته التاريخية مع طه حسين، كما تناولت موقف الجواهري تجاه الحركة الوطنية والتطورات السياسية في مصر، أما

الحادثة التي كاد أن يرحّل فيها الجواهري من مصر لولا تدخل طه حسين، التي سيرد ذكرها في اعترافات الجواهري السياسية فذكرت مجملة دون تفصيل.

البحث الآخر الذي وجدته كان بعنوان: (ثورة النجف عام ١٩١٨ في مذكرات الشاعر محمد مهدي الجواهري قراءة تاريخية تحليلية)، لمجيد حميد الحدراوي، بمناسبة مرور مائة عام على الثورة، وهو بحث قصير يتناول حادثة ثورة النجف عام ١٩١٨ ورأي الجواهري في تلك الثورة، أنها إلى الحصار أقرب منها للثورة، وليس لهذه الحادثة ذكر في اعترافات الجواهري التي سترد في هذا البحث.

التمهيد: (سيرة الجواهري)[1]:

ولد محمد مهدي الجواهري في النجف عام ١٩٠٠ للميلاد (١٨٩٩في رواية أخرى)، وهو سليل عائلة عريقة في العلم والأدب والشعر،تعود إلى الشيخ محمد حسن صاحب كتاب جواهر الكلام الذي تنتسب إليه العائلة، نظم الشعر في سن مبكرة، وفي عام ١٩٢١ بدأ نشر الشعر في الصحف والمجلات العراقية والعربية، ثم عين معلماً في مدرسة الكاظمية عام ١٩٢٧، وفي العام نفسه أصدر ساطع الحصري قراراً بفصله بسبب قصيدة بريد الغربة، التي كتبها إبان زيارته لإيران، تدخل حينها وزير المعارف وأعاده إلى العمل، لكن لم يلبث الجواهري أن استقال من الوظيفة بعد أقل من شهر، وعين في بلاط الملك فيصل حاكم العراق؛ من أجل إنهاء الضجة التي حدثت بسبب فصله ومن ثمَّ استقالته، ثم استقال من البلاط عام ١٩٣٠، وأصدر جريدة الفرات، التي سرعان ما ألغت الحكومة امتيازها فبقي دون عمل حتى عين معلما ١٩٣١، ثم انتقل إلى ديوان الوزارة رئيساً لديوان التحرير، وعندما انتقد النظام الحاكم في قصيدة تم فصله مرة أخرى، واستبدل الفصل بالإنذار لكنه استقال بعدها ليتفرّغ للصحافة.

دخل إلى المجلس النيابي نائباً عن كربلاء عام ١٩٤٧، ثم استقال عام ١٩٤٨ احتجاجاً على معاهدة بورتسموث التي أراد النظام فرضها على الشعب لمصلحة الإنجليز، التي نتجت عنها وثبة كانون، وفيها استشهد شقيقه الأصغر جعفر، بعدها طلب منه الوصي على العرش عبد الإله العودة للمجلس فرفض، ثم تنقّل بين بيروت والقاهرة في الأعوام التالية،وعطلت الجرائد التي كان يملكها

(١) انظر: ديوان الجواهري، جمع تحقيق: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي وعلى جواد الطاهر ورشيد بكتاش، ط١، ١٩٧٣، وزارة الإعلام العراقية، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ص١٥ – ٢١، والجواهري في العيون من أشعاره، محمد مهدي الجواهري، ط٤، ١٩٩٨، دار طلاس، دمشق، ص٣٣ – ٣٩.

فسافر إلى مصر احتجاجاً على مضايقته، عاد إلى العراق بعدها وأصدر عدة صحف، ثم اعتقل في معتقل أبي غريب بعد ثورة تشرين١٩٥٢ ونظم في المعتقل قصيدة ظلام، ثم أصدر جريدة الرأي العام ١٩٥٤ وعطلت بعد ذلك بسبب معارضته للحكومة فيها، حصل بعدها على اللجوء السياسي في سوريا وأقام فيها مدة عامين، ثم عاد إلى بغداد عام ١٩٥٧.

ساند ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، ووقف جريدة (الرأي العام) بعد إعادة إصدارها على تأييد الثورة ومنجزاتها، وانتخب رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين ونقيباً للصحفايين، وحضر مؤتمر الأدباء العرب في الكويت في نفس العام رئيساً للوفد العراقي، وقبل مضي عام على الثورة واجه مضايقات متعددة وصلت إلى الاعتداء عليه وتوقيفه، فانتهز دعوته لحفلة تكريم الأخطل الصغير في بيروت عام ١٩٦١، ومن هناك سافر إلى براغ واستقر بها، حيث أقام فيها سبع سنوات من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٨، وأصدر في منفاه ديوان بريد الغربة.

عاد إلى الوطن في أواخر عام ١٩٦٨ بدعوة من الحكومة العراقية واستقبل استقبالا حافلاً، وكُرّم من وزارة الإعلام، ثم رأس الوفد العراقي في عدة مؤتمرات للأدباء العرب، وفي أواخر السبعينات عاد إلى منفاه القديم في براغ، ومنه إلى منفاه الأخير في دمشق، حيث استقر به المقام حتى وفاته عام ١٩٩٧.

لُقِّب بشاعر العرب الأكبر في كثير من الجرائد والمجلات والمنتديات، وطبعت دواوينه من مؤسسات ثقافية مختلفة، من أشهرها طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية عام ١٩٧٩، في خمس مجلدات، وقبل ذلك طبعة وزارة الإعلام العراقية في سبعة أجزاء في مجلد واحد عام ١٩٧٣، التي استوحى منها مذكراته التي تقوم عليها هذه الدراسة.

سيرة نثرية أم شعرية؟

هل جاء الجواهري بنوع أدبي لم يسبق إليه؟

يجيب عن هذا بقوله: "**هذه أول مرة فيما أعلم، تشاء الظروف لشاعر عربي تدوين مذكراته**"(١).

هذا ما يقوله الجواهري في مقدمة مذكراته، لكن هل كانت كذلك بالفعل؟

للإجابة عن هذا السؤال يتحتم علينا معرفة الفرق بين السيرة الذاتية النثرية والسيرة الذاتية الشعرية، وهل كتب الجواهرى سيرة ذاتية شعرية، فضلاً عن أن يكون رائدها كما يزعم.

ظهرت السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث في نهاية القرن التاسع عشر، بعد اتصال العرب بركب الحضارة الغربية، فظهرت إرهاصات هذا الفن(٢)بأسماء موحية تحمل معنى السيرة لكنها لا تدل عليها دلالة مباشرة، فعميد الأدب العربي طه حسين سمّاها (الأيام)، والعقاد منحها اسما أدق فكانت (أنا وحياة قلم)، ومثله فعل أحمد أمين في كتاب (حياتي)، بينما حملت سيرة فدوى طوقان اسماً موهماً في (رحلة جبلية رحلة صعبة)، لكن هذه السير ظلت مخلصةً للنثر، ولم يدخل الشعر في مادتها، ومنهم من عرف الجواهري والتقاه، ومن هنا جاء جزم الجواهري أنه جاء بجنس أدبي جديد لم يُسبق إليه، اسمه السيرة الشعرية.

وللتفريق بين السيرة الذاتية والشعرية علينا أولاً التعريف بهذين النوعين؛ السيرة الذاتية كما يعرّفها فيليب لوجون: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن

---

(١) مذكراتي، ط١، ٢٠٠٥، دار المجتبى، طهران، ج١، ص١٣.

(٢) السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبد الفتاح شاكر، ط١، ٢٠٠٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ص٦٧.

وجوده الخاص، وذلك عندما يركّز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة"[١].

وهي عند آخر "عملٌ فني ينتقي، وينظم، ويوازن على النحو الذي يصوّر ذلك جميعاً في عمل أدبي يترك أثره المنشود لدى المتلقي"[٢].

وعند ثالث "الترجمة الذاتية الفنية، هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة، على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح ... وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافياً كاملاً عن تاريخه الشخصي"[٣].

وهذا ما قام به الجواهري في مذكراته، غير أنه استند في تلك المذكرات على التنظيم الزمني لقصائده حين تولّت وزارة الإعلام العراقية جمع وترتيب شعره ترتيبا زمنيا وطباعته، ثم كتب سيرته الذاتية من وحي هذا الديوان.

والسؤال الأهم هنا: هل هذه السيرة الذاتية المستمدة من الديوان تعتبر فتحاً جديداً في مجال السير الذاتية الذي عرف قبل الجواهري وبعده؟ وهل نستطيع أن نسميها سيرة شعرية؟

في حقيقة الأمر هو – حسب علمي – أول من قام بهذا العمل من الشعراء العرب، لكنه بالمقابل ليس من قبيل السيرة الشعرية.

فالسيرة الشعرية كما يعرّفها أحد النقاد "قول شعري ذو نزعة سردية يسجل فيه الشاعر شكلاً من أشكال سيرته الذاتية، تظهر فيه الذات الساردة بضميرها الأول متمركزة حول محورها الأنوي، ومعبرة عن حوادثها وحكايتها عبر أمكنة وأزمنة

---

(١) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة: عمر ، ط١، ١٩٩٤، المركز الثقافي العربي، بيروت،ص٢٢.

(٢) أدب السيرة الذاتية، د. عبد العزيز شرف، ط١، ١٩٩٢، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة،ص٢١.

(٣) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د. يحيى إبراهيم عبد الدائم، ط١، ١٩٧٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ص١٠.

وتسميات لها حضورها الواقعي خارج ميدان المتخيل الشعري"[1]، وهذا التعريف لا ينطبق على مذكرات الجواهري (النثرية)، فالجزء الشعري فيها لا يتجاوز تلك الأبيات التي يستدل بها الجواهري على حادثة أو ذكرى أو موقف ..

إذن يمكننا القول إن الجواهري كان له السبق في كتابة مذكراته من وحي دواوينه الشعرية، ولم يكتب سيرة شعرية بالمعنى المعروف للسيرة الشعرية، فهو لم يبتكر جنساً أدبياً جديداً بقدر ما أفاد من الشعر في تسجيل مذكراته التي كتبها بلغة أقرب إلى لغة الصحافة، وبأسلوب الكاتب الصحافي لا أسلوب الشاعر والأديب، وهذا الاستثمار بغض النظر عن الأسلوب الذي ارتضاه الجواهري لسيرته الذاتية النثرية دليل دامغ على أن شعره كان – بحقّ – مرآة حياته، وأنه من الشعراء العرب القلّة الذين يمكننا – بوضوح تام – قراءة ملامح حياتهم من خلال قصائدهم.

السيرة النثرية والاعترافات:

من المعلوم بالضرورة أن النثر أكثر رحابة من الشعر خاصةً حين يتعلّق الأمر بالاعترافات والبوح، غير أن البوح الوجداني يشاطره المكانة، إن لم يتفوق عليه في بعض الأحيان، بينما يجب على من ينهج سبيل الاعترافات الأخرى؛ السياسية منها والدينية والاجتماعية والأخلاقية أن يلجأ إلى النثر فهو ميدان هذه الأنواع؛ إذ يضيق الشعر عادةً بسبب طبيعته المعروفة عن استيعاب مثل هذه الاعترافات، ولعله لا يحتمل منها إلا ما جاء مغلفاً بالرمز، فالشاعر يكفيه التلميح عن التصريح في بعض المواضع، وتغنيه الإشارة عن التطويل والإسهاب في مواضع أخرى.

---

(١) التشكيل السير ذاتي، التجربة والكتابة، د. محمد صابر عبيد، ط١، ٢٠١٢، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق،ص٦٩.

البوح والاعتراف:

البَوْحُ: ظُهُورُ الشَّيْءِ. وباحَ الشيءُ: ظَهَرَ. وباحَ به بَوْحاً وبُؤُوحا وبُؤُوحَةً: أَظهره. وباحَ مَا كَتَمْتُ، وباحَ بِهِ صاحبُه، وباحَ بِسِرِّه: أَظهره. ورجل بَؤُوحٌ بِمَا فِي صَدْرِهِ وبَيْحانُ وبَيِّحانُ بِمَا فِي صَدْرِهِ، مُعَاقَبَةٌ وأَصلها الْوَاوُ(١).

ظهر الاعتراف ملازماً لكتابة المذكرات، أو لعلنا نقول هو علّة من علل وجودها، فبداية المذكرات في العصر الحديث تعود بحسب كثير من الدارسين إلى اعترافات الفرنسي جان جاك روسو في القرن الثامن عشر الميلادي(٢)، التي بدأها بهذا التعريف عن مشروعه، الذي كان يدرك أنه يبدأ به فناً جديداً لم يسبق إليه "إنني مقدم على مشروع لم يسبقه مثيل، ولن يكون له نظير؛ إذ إنني أبغي أن أعرض على أقراني إنسانا في أصدق صور طبيعته .. وهذا الإنسان هو: أنا!.. أنا وحدي .. فإني أعرف مشاعر قلبي، كذلك أعرف البشر ولست أراني قد خلفت على شاكلة غيري ممن رأيت، بل إنني لأجرؤ على أن أعتقد بأنني لم أخلق على غرار أحد ممن في الوجود... وإذا لم أكن أفضل منهم فإنني – على الأقل – أختلف عنهم! .. ولن يتسنَّى البت فيما إذا كانت الطبيعة(٣) قد أصابت أو أخطأت إذ أتلفت القالب التي صاغتني فيه إلا بعد قراءة هذه الاعترافات!" (٤).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ط٣، ١٤١٤، دار صادر، بيروت،فصل الباء، ج٢، ص٤١٦.

(٢) السيرة الذاتية، جورج ماي، ت: أ.د محمد القاضي – أ.د عبد الله صولة، ط١، ٢٠١٧، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،ص٣٨.

(٣) الطبيعة لا تصنع ولا تخلق، الطبيعة من صنع الله جل جلاله.

(٤) اعترافات جان جاك روسو، ت. حلمي مراد، ط١، ١٩٩٨، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق– بيروت، ص٩.

ثم ذكر منهجه في هذه الاعترافات: "لقد صوّرتُ نفسي على حقيقتها: في ضِعَتِها وزرايتها .. وفي صلاحها، وحصافة عقلها، وسُمُوِّها .. تبعاً للحال التي كنت فيها!" [١].

هذه الجرأة من جان جاك روسو ليس لها نظير في عالمنا العربي؛ "لأن حياتنا الأدبية لا زالت تعيش في جو من المحافظة والكتمان، واستنكار المصارحة في الكشف عن حياة الأدباء المعاصرين في أضواء ساطعة من الوقائع والحقائق، فما زلنا نميل إلى الظلال والتلميحات والإشارات البعيدة بدلاً من النور الكاشف والضوء الصريح"[٢]، كما أن هذه الاعترافات مما ألفه الغرب في ظل الكنيسة الكاثوليكية منذ مئات السنين، نتج عن ذلك أنهم سبقونا في العلنية الاجتماعية، في الوقت الذي يؤثر فيه أدباء الشرق الوقار على الصراحة المطلقة عند مخاطبة الجمهور[٣]؛ لذلك كان للجواهري السبق في الخروج عن جو المحافظة والكتمان، وإذا اتسمت اعترافاته في مذكراته بجرأة لم نجدها عند من سبقه من كتّاب السير الذاتية في العالم العربي، ولعل سنوات النفي الطويلة في براغ أمدته بإكسير الجرأة الذي تميَّز به أدباء القارة الأوروبية، وليس هذا فحسب سبب اندفاعه لكتابة هذا المذكرات، بل هو دافع من الدوافع، أما "الغاية الأولى التي تحققها السيرة الذاتية فهي الغاية المزدوجة التي يؤديها كل عمل فني صحيح، أعني تخفيف العبء على الكاتب بنقل التجربة إلى الآخرين، ودعوتهم إلى المشاركة فيها؛ فهي متنفس طلق للفنان، يقص فيها قصة حياة جديرة بأن تستعاد وتقرأ، وتوضح موقف الفرد

---

(١) السابق نفسه.

(٢) بين المعداوي وفدوى طوقان، صفحات مجهولة في الأدب العربي المعاصر، رجاء النقاش، ط٢، ١٩٩٠، دار المريخ للنشر، الرياض،ص٢٢.

(٣) انظر: بين الكتب والناس، عباس محمود العقاد، ط١، ١٩٥٢، مطبعة مصر، القاهرة، ص٢١.

من المجتمع، كما تمنحه الفرصة لإبراز مقدرة فنية قصصية إلى حد كبير، وتريحه نفسياً لأنها تستند إلى الاعتراف"[١].

ومع هذه المكاشفة في اعترافات الجواهري في سيرته الذاتية، فإن أدب الاعتراف بعده ظل ملازماً للسير الذاتية والروايات، ولم يعرف كجنس أدبي مستقل كما هو الحال في أدب الغرب.

المبحث الأول (أنواع البوح):

للبوح والاعتراف في مذكرات الجواهري أنواع عدّة، من أهمها:

أولاً – البوح الاجتماعي: وفي هذا البوح يعترف الجواهري باقترافه لآثامٍ شتّى، ليس الاعتداء أولها وليست السرقة آخرها، وتبدأ تلك "الممارسات" منذ الطفولة، مدفوعة برغبة الطفل في التجريب وإن كان على حساب رأس ابن عمّه، يقول الجواهري في وصف تلك الحادثة: "في هذا البيت تعلّمت لأول مرّة كيف يكون (الاعتداء)، فقد كان عمّال البناء هؤلاء يطلون الحوض بالقار، وعمل لي أحدهم، والغريب أنه في معرض الدلال والتلطيف، مقواراً صغيراً (وهي كلمة دارجة قريبة من الفصحى) وحملته وأنا خارج بصحبة والدتي، واعتملت في داخلي الرغبة بتجربة هذا المقوار على رأس أحدهم، وصادف أن رأيت ابن عمي حسين، وكان عمره آنذاك حوالي العشرين، جالساً في الزقاق، لقد أغراني رأسه الحليق فجربت الآلة الجارحة به، واحتميت من غضبته بعباءة أمي"[٢].

وبعد أن كبر الجواهري استبدل مقواره الصغير، بأداة أقل حجماً وأكثر فتكاً؛ فقد استخدم (قلمه) في اعتداء آخر كانت ضحيته هذا المرّة رؤوس الأدعياء، فقد فاز صالح جبر بشجرة انتساب إلى عشائر آل ركاب من الناصرية مقابل بعض المقاعد النيابية، يسوّغ الجواهري لنفسه هذا الهجوم على أطراف المقايضة بقوله:

---

(١) فن السيرة، د. إحسان عباس، ط١، ١٩٩٦، دار صادر، بيروت،ص٩٩، ١٠٠.

(٢) مذكراتي، ج١، ص٤١، ٤٢.

"لست ممن يتدخلون، إن لم أكن ممن يستنكرون على المرء تمسكه بأغصان شجرة العائلة وفروعها، والتصاقه ببدعة الانتساب، فكيف بمن يزوّر لكي (يتشمَّر أو يتعنَّز) ويتعثمن ويتعرَّب" [١]، نتج عن هذا الفعل من صالح جبر ردة فعل عنيفة من الجواهري، تمثّلت في قصيدة (طرطرا)، وأدى نشرها في جريدة الرأي العام إلى بيع جميع النسخ، وبيع بعضها بألف فلس بدلاً من عشرة، وإلى استقالة وزارة توفيق السويدي فيما بعد [٢]، يقول في هذه القصيدة:

"أي دبدبـــي تدبدبي	**أنا علـيُّ المغربي"**
أي طرطــرا تطرطري	**تقدمـــي تأخــري**
"تزيــدي، تزبَّـــدي"	**"تعنـزي تشمــري"**
كوني إذا رمتِ العلى	**من قُبلٍ أو دُبـــرِ**
شامخة شموخ قرن	**الثور بين البقرِ**[٣]

والطرطرة بالمعنى الشعبي تقال عند الاستخفاف بالأحاديث التافهة، والطرطور للمعنيّ بها[٤].

ويعترف في موضع آخر من مذكراته بارتكاب السرقة لكن من أهل بيته، وكأنه يخفف بهذا الاستدراك من فداحة الفعل، فالسرقة من البيت أخف وطأةً من السرقة من خارجه، كما أن السرقة لفترات معدودة – كما وصفها –أخف وطأةً من السرقة باستمرار: "وأياً كان الحال، فلن يخفف – إلا بقليل – أن تكون هذه السرقة من أهل بيتي نفسه لا غيره، وبكل ما في كلمة (لا غير) من معنى، وأحياناً من أقواتهم ومن مسيس الحاجة إليه أيضاً" [٥].

---

(١) السابق، ج١، ص٤٣٤.

(٢) السابق، ج١، ص٤٣٥، ٤٣٦.

(٣) السابق، ج١، ص٤٣٦.

(٤) السابق، ج١، ص٤٣٤.

(٥) مذكراتي، ج١، ص٤١.

يصف تلك التجربة الفاشلة، التي كادت أن تنتهي بموته هو وأخيه عطشاً في صحراء النجف، لولا تدخل أحد معارف والده في إنهاء الهروب الساذج، بعد سرقة الساعتين من الصندوق الذي يحفظ به والدهما مقتنياته الثمينة "سرقنا الساعتين، لأجل أن يحتفظ كل منّا بواحدة منهما، لا لأجل أن نبيعهما، أو لا لأجل أن نرهنهما، لم تكن هناك واحدة من ذلك كله، وكل ما كان أن نحملهما ونحن نقطع الرملة الحارقة فيما بين النجف والكوفة كسارقين يدركان فعلتهما وأن يدركنا العطش المميت لولا أن يتعرّف علينا من ركاب (التراموای) أحد الملتصقين بوالدي، ليتوسط لدى سائق (التراموای) في إيقافه ثم أن يصعد بنا إليه، وليقطر سائقه في فمينا ما كان عنده من وعاء ماء، ثم لنعود ونرجع الساعتين إلى محلهما، وأهلنا ما زالوا يغطّون في نومهم"[١].

ويروي الجواهري بعد ذلك رحلته مع السرقات، حين انحصر بالزهيد من المال حين يكلّف بالتسوق وجلب ضرورات الحياة اليومية لأهله " شيء من الصنف، وشيء من الوزن، وشيء من الثمن، ليتجمّع لي من ذلك ما يسمى اليوم بمصروف الجيب"[٢]، ولكنه لم يقف عند هذا الحد فقد "تصاعد بعد ذلك حتى وصل ولمرّة واحدة إلى الليرات الذهبية من سلة الذهب التي حملتني إياها (الملّة وحيدة) لترهنها والدتي"[٣].

وتتنوع دوافع السرقة لدى الجواهري، ليصبح العشق أحد هذه الأسباب، فقد أراد مشاركة أهل حبيبته في متاع رحلتهم النهرية، ولم يجد إلا (الفحم) من أجل إعداد الشاي "وذات يوم، وأنا في هذه المرة من الحب، وبكل ما في من براءة،تنزَّل على إلهام شعري لا يلهمه الكثيرون هو أنني وقد خجلت من نفسي ألا أكون ذا

(١) السابق، ج ١، ص٤٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

شأن في أمر هذا المتاع، لم أجد ما أستطيعه من ذلك سوى أن أعد حفنات من الفحم لغلي (سماور الشاي) وباللحظة الملهمة فعلا فقد ابتدأت أعد هديتي هذه بما أحمله (وأهلي نيام) من كيس الفحم. ونغصَّ على ذلك خالي «المتعبد»، «عبد الرسول»، بدخوله البيت ليتوضأ، وليصلي وليضبطني متلبسا بالفحم المسروق، فلم يكن مني إلا أن اتظاهر وكأنني أريد به كتابة هذه الآية أو تلك من القرآن على الحائط! وعددت الثواني والدقائق. وأنهى الشيخ صلاته وخرجت والتحقت بالركب وشاركت البيت وعشيقتي بمتاعي المنشود"[1].

أما المرّة الوحيدة التي سرق فيها من الجيران فقد كانت لإرضاء رغبة السرقة في نفسه بحجة منع من حوله من النوم وهم جياع، غير أنه عاد في اليوم التالي للبائع دافعاً ثمن ما أخذ ومعتذراً عنه "وفي هذه المرة فمن الجيران وذلك عندما سرقت، وكان هذا في أوائل الخمسينات. وكل من معي نيام بدون عشاء، عندما سرقت (رقية) من بائع (الرقي)– أي البطيخ الرقي نسبة إلى الرقة – وما يسمى في سوريا بالبطيخ الأحمر، وهو في غفوة بعد منتصف الليل، لأجيء بها إليهم مفززا إياهم،من نومهم، غطاءً مزعوماً على أنهم لن يناموا بدون أكل، وبعبارة أمر وأوجع فلكي أزيدهم جوعا، فالرقي كما يعرفه الجميع هاضم للأكل. وفي اليوم التالي عدت إليه معتذراً دافعاً الثمن"[2].

ثانياً – الاعترافات الأخلاقية: فهو يعترف بميله المبكّر للنساء، ويجمع بين هذا الميل لفتاة من عائلة (الهويدي) والسرقة كما ورد في قصة الفحم المسروق لغلي سماور الشاي في النزهة التي قام بها مع عائلة المعشوقة، ولعل الغرابة تتبدى أكثر في فارق السن بينه وبين فتاته، فهي تكبره بعشر سنوات، وهذا خلاف ما جرت عليه العادة من التعلق بفتاة أصغر من الشاب أو في نفس سنه على أقل

(١) مذكراتي، ج١،ص٦٢.

(٢) السابق نفسه.

تقدير "لقد كانت تكبرني في أقل تقدير بما يزيد على عشر سنوات، وأياً كان الأمر فقد عشقتها، وهي بدورها أحبتني حباً عنيفاً، حب الفتوة للصبوة طبعاً" [١].

هذا الحب كان دافعه التعلّق الطفولي، لأنه كان يحدث على مرأى ومسمع من أهل تلك الفتاة "ما كنت بنائم ليلة في شقتنا هذه إلا حالماً بانقضائها وانفتاحها على وجه الصباح الباكر لكي أقتحم شقة الحبيبة، لتتلقاني بكل ما عندها من بشاشة وحنان، وفي أحيان كثيرة فلتلفني بعباءتها الحريرية، وأظل لاصقاً بها، وبمن معها من أهلها، لا يفصلني عنها فاصل إلا عندما يتذكرني أهل بيتي فيفتقدونني ثم يرجعون بي من عندها"[٢].

يضع الجواهري قصة الحب هذه في موازاة قصة عاشها في أواخر العقد الثاني من شبابه ويقول: "هذه صورة صبوة، وفي نهاية العقد الثاني من شبابي، وتلك صورة صبوة أخرى وأنا في الثامنة، فأي الصبوتين أصدق؟"[٣]، وفي ظنّي أن صبوة الثامنة – مع طفوليتها– كانت أصدق.

ومع ذلك فليس للجواهري تجربة عميقة، إلا ما ذكره بعد ذلك عن فتاة "كانت من المترددات على البيت، امرأة جميلة ولطيفة ولا علاقة لي بها سابقاً، بل ولا حتى مجرد الشعور بجمالها، سوى أن صورتها تكونت عندي بعد فترة، وبعد محاولات متكررة وشبه مداومة منها"[٤].

ظلت تلك المرأة تتردد أكثر من سنتين على منزله، تأتي عندما يدخل البيت، وتعرف أوقات صحوه ونومه وخروجه، ومن هنا جاءت محاولة استمالته التي غفل لها عنها ببراءة "ذات يوم وأنا أريد الذهاب إلى بغداد طلبت من هذه البنت من معارفنا قليلاً من الذهب لغرض رهنه، فقالت، «حالا، تعال معي للبيت» فدخلت

(١) السابق، ج ١، ص٦١.
(٢) السابق، ج ١، ص٦١، ٦٢.
(٣) مذكراتي، ج ١، ص٦٣.
(٤) السابق، ج ١، ص١٢٩.

وكانت مصادفةً مقصودة، فالبيت فارغ من كل نفْس أو نفَس، ورفعتني على يديها إلى أحد السقوف بحجة البحث عن مكان الذهب، وحتى وأنا على هذه الحال التي تعيد حتى المغفلين إلى وعيهم، لم أكن يقظاً ولا واعيا، أخذت الذهب وعدت، حيث سافرت إلى بغداد ثم رجعت ثانية إلى النجف وفككت الرهن"[١]، لكن هذه المحاولات كتب لها النجاح بعد ذلك "وذات يوم وأنا أتوسط كتب الشعر والنسخ والتدوين وكان جميع من في البيت نياماً، وفجأة وأنا نازل إلى ساحة البيت وهي تراجع، كانت مني عثرة وكان منها أن تظاهرت بأن تقيلني منها، وعندها ذقت المرأة، وكانت تلك المرأة الأولى"[٢].

وهنا تتبدى جرأة الشاعر بمثل هذا الاعتراف الذي مهّد له بعبارة (من يصدّق) وختمه بنرجسية جعلته في هذا المقام المُطَارَد لا المُطارِد، الصيّاد لا الفريسة "من يصدّق، وأنا حينئذ في الذروة من ريعان الشباب، بل وفي الذروة من سعة الجيوب للدراهم والدنانير ومن طيلة الفترة التي كانت لي فيما بين السفرتين أنني لم أذق المرأة، وأتذكر أكثر من واحدة كانت تريد أن تتذوقني"[٣].

يصف مراهقته المُرهقة بعد ذلك ويقول: "لقد كانت المراهقة عندي ذات تأثير مباشر حاد على حياتي اللاحقة، في بيئة مثل النجف حيث لا يوجد فيها ما ينفس عن الإنسان، حتى عن حيواناته، وليس عن شهواته فحسب، وكنت أريد ذلك ولكن بالشكل الطبيعي المألوف والتقليدي القديم المتوارث، وهو الزواج"[٤]، والجواهري بهذا الاعتراف يكشف عن مرحلة صعبة يتجنبها عادةً كتّاب السير، فمرحلة

(١) السابق نفسه.
(٢) السابق، ج ١، ص١٣٠.
(٣) السابق، ج ١، ص١٢٩.
(٤) مذكراتي، ج ١، ص١٣٠.

المراهقة (تفتح الجسد) تهمل تماماً، وغيابها ليس خاصاً بالأدب العربي بل بالأدب الغربي أيضاً، حيث يتم التركيز غالباً على مرحلتي الطفولة والنضج فقط [١].

هذا الاعتراف قاده إلى اعتراف آخر يخص علاقته بالمتدينين في شبابه، وعدم تحرّجه من طلب مساعدة المرجع الديني في دفع مبلغ المهر، وعدّ هذا مألوفاً، بيد أن تصرّف الزعيم النجفي الذي تشفّع له عند المرجع الديني غير مألوف ولا مقبول؛ إذ ترك غصّة في قلبه من ذلك الحين حتى وقت كتابته لهذه المذكرات، يقول عن هذه الحادثة التي اعتبرها حادثة فاصلة في حياته: "وهنا تجيء فاصلة فريدة في بابها من الفواصل غير الكثيرة وشبه الحاسمة في حياتي، وإلى جانب ذلك فذات مغزى عميق آخر من مغازي الدين والمتدينين على غير ما تستحقه هاتان الكلمتان من حق وحقيقة، فقد ظلت خطيبتي الحسناء طيلة أكثر من عامين، وكان عليها ما يشبه الحجز أو الحجر، لمجرد ضيق ذات يدي في الصداق المطلوب على زهادته آنذاك، مما ألجاني، وتلك حالة مألوفة، إلى زعيم نجفي له صلة موثوقة بي، لأطلب أن يتشفع لي لدى المرجع الديني الكبير الشيخ النائيني في دفع هذا الصداق، وكان مثل هذا الأمر شبه مألوف لدى المجتهدين الكبار، وماطلني الرجل الشفيع مدة طويلة ليفاجئني ذات يوم بتقبّل الشفاعة وليصحبني معه إلى الإمام النائيني وبعد جلسة لم تدم غير دقائق معدودات نهض الشيخ الجليل ليعود بصرة كانت، تخش بالدنانير الذهبية، أي أنها كانت تحمل مسيرة حياتي الجديدة والمفترضة ودسها شفيعي في جيبه، ورجعت معه متوقعاً في أول خطوة إلى الشارع ان يدفع إلي بالصرة الذهبية وطالت الخطوات حتى لصق باب بيته ولأول مرة وأنا ألازم هذا الباب سنين عديدة ذهابا وايابا، وجدته وهو يصفقه بوجهي. وأدركت بطبيعة الحال أن الشيخ قد استغل تلك المماطلة ليوم

---

(١) في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية، تيتز رووكي، ت: طلعت الشايب، ٢٠٠٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص٣٤، ٣٥.

الحاجة الماسة منه إلى الليرات الذهبية، وابتلعت الغصة صامتاً معتملة فيّ حتى يومي هذا"[١].

هذه الحادثة من العوامل التي شكّلت موقف الجواهري ضد السلطة الدينية، حيث أخذ بعدها في التصريح بعدم اعترافه بهم، ووصل به الحال بعد ذلك إلى مجابهتهم وهجائهم في أكثر من قصيدة، ومنها قوله[٢]:

على بابِ "شيخ المسلمين" تكدَّسَتْ جِيـــاعٌ عَلَـــتْهُمُ ذِلَّـــةٌ وعُـــراةُ

هُـمُ القــومُ أحيــاءٌ تقــولُ كــأنَّهم على بـاب "شيخ المـسلمين" مَـواتُ

يلُـمُّ فُتـات الخبـزِ فـي التـرابِ ضـائعاً هُنـــاكَ، وأحيانـــاً تُمـــصُّ نُـــواةُ

بيـوتٌ علـى أبوابِهـا البـؤس طـافحٌ وداخِلَهُـــنَّ الأُنـــسُ والـــشَّهواتُ

ومـــا الـــدّينُ إلا آلـــةٌ يـــشهرونـها إلـــى غَـــرضٍ يقـــضُونَهُ، وأَداةُ

فَهَـل قَـضَتْ الأديـان أَنْ لا يـذيعُها علـــى النـــاسِ إلا هـــذه النّكـــراتُ[٣]

وعلاقة الجواهري مع نزق الشباب لا تنتهي عند هذا الحدّ، فهي وإن اقتربت من الرحيل مع أول خطوة خطاها وخذله فيها شيخه الجليل، تطلّ برأسها في مرحلة أخرى حين ينعم عليه الملك فيصل الأول – ملك العراق – بالمكانة والوظيفة فينشغل صباحاً بتلك الوظيفة وفي المساء تعاوده الرغبة بالانعتاق من ربقها بارتياد الحانات والمراقص، يصفها في نبرة تحمل من الحزن أضعاف ما تحمله من النشوة، ويقول: "فما أشبه هذه الطفولة بتلك الطفولة الجديدة التي ينتهي

(١) مذكراتي، ج ١، ص١٣٠، ١٣١.

(٢) (الرجعيون) قصيدة نظمت بعد معارضة العلماء لفتح مدرسة للبنات في النجف عام ١٩٢٩.

(٣) ديوان الجواهري، ج١،ص٤٦٨، ٤٦٩.

دوامها الرسمي مع من ينتهي دوامهم، فيذهب كل إلى بيته أو إلى سمره الخفيّ، بينما يذهب هذا الرجل، مرتديا زيه الأول أو الثاني المعتاد قاصداً الملاهي أو يؤم السهرات العابثة ويرتاد المشارب والحانات والمراقص"(١).

ثم يربط بين فعله هذا وسلوكه الطفولي هناك في النجف " إنه ذلك الطفل الصغير الذي يكمل واجباته الأدبية من شعر المتنبي ومن أمالي أبي على القالي ومن نهج البلاغة، يكملها في كل يوم، ثم يهرع بعد ذلك، بدقائق لا بساعات، إلى التراب عابثين، لاهين، متشاجرين فيلهو ويعبث ويتشاجر، وكأنه لم يكن هو ذاته صاحب تلك الساعات الأدبية المؤدبة"(٢).

شتان بين لهو الطفولة واللهو الآخر الذي مارسه الشاعر في شبابه وربطه بلهوه القديم؛ إذ لو كانا بنفس البراءة ما وجد في نفسه كل ذلك التقدير للملك فيصل، حين تغاضى عن ذلك اللهو مع معرفته به "ما أشبه هذا الطفل الصغير بذلك الطفل الجديد حيث يخرج من هذا المقام ومن هذا الرجل، ملك العراق، فيلعب ما يشاء، ويلهو ما يشاء ثم يرجع إلى القصر ليداوم من جديد ويغتفر له الرجل المهيب كل عبثه، ومن المفترض أن يكون كل ما يتعلق بحاشيته غير خاف عليه" (٣).

لعله في هذا التسويغ – اتفقنا معه أم لم نتفق – يريد أن يخفف من ثقل الاعتراف الذي حمل بعض الخطورة، فهو الآن مسؤول عن تصرفاته ويعمل في بلاط الملك، وفعله – أمام العامة – هذا يحسب على الملك بحكم المكانة التي أولاها له، والعناية التي أحاطه بها؛ لذلك جاء صادما حتى بعد مرور سنوات طويلة عليه، بسبب ما لتلك المرحلة من أثر في تاريخ العراق الحديث.

---

(١) مذكراتي، ج ١، ص١٨٨.

(٢) مذكراتي، ج ١، ص١٨٨.

(٣) السابق نفسه.

وفي ختام اعترافاته الجريئة يُجمل رحلته مع المرأة بهذا الاعتراف، وينهي به مسلسل اعترافاته "في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات أعطيت رجولتي حقها في ليال ماجنات عابرات ولم يكن جهري بها شعراً إلا برماً بقضبان القفص الذهبي في البلاد ليس إلا، أو كان جرياً على سجيتي دون التفات للعواقب ... ذلك كان شبابي العنيف ولكن كهولتي لم تكن أقل عنفاً بل كانت أعتى ضراوة"(١).

ومن الاعترافات التي وردت في غير موضع من مذكرات الجواهري؛ اعترافه بتناول الخمور وارتياد الحانات، وقد مرَّ شيء من ذلك آنفاً، ولكن دون تصريح بالشرب أو تفضيل نوع معين منها على آخر، غير أنه في موضع آخر– متأخر زمنياً عن اعترافه ذاك ـ يذكر العرق العراقي على وجه الخصوص، بل ويذكر التفاصيل الدقيقة لتلك الحادثة، التي كانت في حفلة لأم كلثوم أقامتها في بغداد عام ١٩٤٦، ووجد أن هذا النوع من الشراب منسجم مع ذلك الحفل: "كنت أروم مكانا قصياً أعتزل فيه، لأناغي نفسي بما ستشدو به أم كلثوم وأن أتناول، من دون سائر الأشربة المتناسبة والمنسجمة مع هذا الحفل الفخم، العرق العراقي – شبه الممنوع على سبيل الافتراض في مثل هذا المقام – واتخذت مكاني القصي هذا، قبل أن يكتمل المجلس، قاصداً، متعمداً، متجاهلاً كل القادمين علي أو على غيري"(٢).

ثالثاً – الاعترافات السياسية: مذكرات الجواهري زاخرة بهذا النوع من الاعترافات، وهذا عائد إلى الفترات العصيبة التي عاصرها، في ظل الملكية أولاً، ثم في ظل الحكم الجمهوري والانقلابات التي أصبحت أحد سمات تاريخ العراق

(١) مذكراتي، ج ٢، ص٥٠.

(٢) مذكراتي، ج ١، ص٤٤٣.

الحديث، حتى استقرّ في يد حزب البعث، فكان استقراره ذاك سبباً في اضطراب الحياة السياسية في العراق منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا.

عرف الجواهري دهاليز السياسة حين عمل في بلاط الملك فيصل، وعاش في صراع مرير إبان وثبة كانون التي ذهب ضحيتها شقيقه جعفر، ودفعه هذا الصراع إلى رفض عرض الانضمام إلى المجلس النيابي مرةً أخرى بعد قرار حل المجلس النيابي الذي أصبح نائباً فيه بالتزكية، يروي هذه الحادثة بكثير من الندم ويقول: "وبدوري قصدت الوصي على عرش العراق لمجرد شكره في أنه أرسل ممثلا عنه في تشييع الشهيد جعفر متناسياً موقعي السابق في المجلس النيابي وغير آبه ما سيكون عليه وضعي في المجلس اللاحق وإذا بالرجل يأخذني على حين غرة ويقول: (إن مكانك محفوظ في المجلس النيابي كنائب عن كربلاء).

لم يكن يخطر على بالي إطلاقا أن نتحدث بمثل هذا الموضوع أو يعرض عليّ طلبًا كهذا، ولم أكن أصلا قد فكرت لا فيه ولا بالرد عليه .. وللحال وجدتني ودون سابق دراسة لكلمات الموقف أجيب وبما يخرج عن اللياقة والأصول الرسمية في التعامل ..

لا يا سيدي: أنا أريد أن ينتخبني الشعب ..

دهش الرجل من هذه الإجابة غير اللائقة وعلت وجهه مسحة من اصفرار ولم يجب على كلامي، كما لم يزد عليه شيئاً"(١).

ولا يتورع الجواهري بعد ذلك عن تذييل هذا الاعتراف المهم، بوصف نفسه بالحماقة والغرور جراء ردّه بتلك الكلمات: "وخرجت وأنا أجرر أذيال الخيبة وأحاسب نفسي على هذه الخطيئة السلوكية.

وتساءلت بيني وبين ذاتي .. ما الذي منعني من مباركة اقتراح هذا الرجل ..

---

(١) مذكراتي، ج ٢، ص٣٠.

بل لماذا لم أسع شخصياً وأخطط لأن أكون نائباً وفي تلك المرحلة بالذات .. إن لم يكن من أجل مستقبلي ومستقبل عائلتي فمن أجل شهداء الوثبة، ومن أجل الشارع الثائر، ومن أجل الجماهير المتعطشة للمواقف .. ولكن .. ويا للأسف ..

فقد وقعت في هذا المرَّة ضحية لسوء التخطيط والحمق وضحية للغرور كذلك" [1].

وقع الجواهري بعد ذلك في جملة أخطاء حين تم اختياره ضمن وفد اتحاد الأدباء العراقي للمشاركة في مؤتمر أقامه اتحاد الكتاب في الكويت، في فترة حكم عبد الكريم قاسم الذي حمّله رسالة شفهية إلى أمير الكويت في ظل الأجواء المتوترة بينهما في ذلك الحين، ويبدو أن هذا التوتر جعل الجواهري يتحسس من انشغال أمير الكويت بالحديث مع أحد أعضاء الوفد المصري، فقرر الاستئذان من الأمير والخروج من المجلس، مما أثار استغراب الأمير وجعل الجواهري يتنبّه للخطأ الذي وقع فيه، "وانتدبت أنا والدكتور المخزومي والشاعر الحبوبي وذهبنا إليه وجلسنا ناحية بينما هو مشغول أو متشاغل بالحديث مع أحد أعضاء الوفد المصري بحيث وجدنا أنفسنا في موقف لا نحسد عليه ونحن نمثل الوفد العراقي لا غيره .

وحفظا لكرامتنا وكرامة الوفد أومأت إلى زملائي بالنهوض ونهضنا فعلا لنجد أنفسنا ونحن نستأذن الأمير بالانصراف أي كما يقولون: ما سلَّم حتى ودّع..

وقطع الأمير حديثه على وجه متكلف ليقول لمحدثه كلمة واحدة لم أعرف مدى صلتها وعلاقتها بالحديث وهي بالحرف الواحد.. "والعراق"..

صحيح أنني ارتكبت خطأ في هذا اللقاء تنبهت إليه فيما بعد وهو أن الواجب الرسمي والدبلوماسي كانا يقتضيان أن أبلغ الأمير بأنني أحمل إليه رسالة من

(١) السابق، ج ٢، ص٣٠، ٣١.

الزعيم ليكون بعدها ما هو مألوف من الشكليات والرسميات والمراسيم، غير أن الصحيح أيضا أن موقف التجاهل من ذاك الأمير كان أكثر مما يحتمل بحيث أنساني كل شيء إلا احترام الذات واحترام الخصوصية التي يتمتع بها ذلك الوفد، على أي حال فقد كان تصرفنا منسجماً كل الانسجام مع مرارة واقع ذلك اللقاء"[١].

هذا التسويغ الذي أعقب الاعتراف كان التوتر بين البلدين في تلك الآونة – في رأيي – سبباً فيه، وإلا ما فائدة الاعتراف بالوقوع بالخطأ ثم تحميل الآخرين الخطأ الأكبر؟ إذ لو كان الأمر كما قال ما اختاروه رئيساً للجلسة الأولى في المؤتمر، "وانصرفنا لنعود إلى قاعة اجتماع الوفود كلها .. ولربما ومن باب المعادلات أن يكون مجرد أننا الوفد العراقي أقوى البواعث على اختياري رئيسا للجلسة أي أن يكون هذه المرة العراق حيث يجب أن يكون..

ابتدأت الجلسة الأولى وفي الرتابة المنهجية للمتحدثين، وجاء دور الكلمة للوفد العراقي وهنا أعترف أنني أخطأت ثانية بعد خطأي الأول بعدم تبليغ الرسالة الشفهية من الزعيم إلى الأمير، هو أني أعطيت الكلمة لصلاح خالص[٢].. إذ كنت بذلك التصرف كمن يصب الزيت على النار"[٣].

وللجواهري أخطاء سياسية أخرى غير مقصودة ـ كما يقول ـ منها ما وقع فيه حين زار دمشق في طريقه إلى القاهرة؛ حيث أهدته مجموعة من المثقفين لوحات فنية لأحد المدرسين، جلبت له المتاعب فيما بعد حين نزل في مطار القاهرة "دعيت إلى عشاء في دمشق أقامته لي شلة صغيرة كريمة يعرفونني ولا أعرف أحداً منهم وخلالها أهدوني لوحة فنية لأحد المدرسين في كلية الفنون، وبكل براءة

---

(١) مذكراتي، ج ٢، ص٢٢٤.

(٢) صلاح خالص ممثل الحزب الشيوعي العراقي، وقد تحدث في قضايا حساسة لا ينبغي الحديث عنها في تلك الفترة، وفي دولة الكويت على وجه الخصوص.

(٣) مذكراتي، ج ٢، ص٢٢٤.

وكل عفوية حملت هذه اللوحات دون أن أنظر إلى محتواها فرحاً ولم أكن لأدري أنها ستكون حملاً ثقيلاً وعبئاً كبيراً وأنا متجه إلى القاهرة"[١].

هذا تبرير – في رأيي – غير مقنع[٢] من مثقف مثل الجواهري، فالنظر إلى تفاصيل اللوحة أول عمل يقوم به من يريد شراء اللوحة أو من تُهدى إليه، ونظرة واحدة فقط كانت كافية ليتبين أنها تحمل شعارا لجماعة محظورة في مصر والعالم العربي، هذا الخطأ كاد أن يعيده من حيث أتى لولا تدخل الدكتور طه حسين وزير المعارف في ذلك الوقت "لحسن الحظ أن ابني فرات عثر على الدكتور طه حسين وهو وزير المعارف ولديه ما لديه من المشاغل والاهتمامات والدعوات فلو لم يعثر عليه لكنت الآن مبعداً في طريق العودة إلى بغداد ..

عرفت فيما بعد أن اللوحات التي أتيت بها من دمشق ونسيتها في مركز الجمارك المصرية هي تمثل شعارات للسلام العالمي المحظور نشاطه في القاهرة وكل العالم العربي" [٣].

ولا تخلو بقية القصص أو الغصص التي اعترف بها الجواهري من حسرة وألم على موقف لم يحسن التعامل وفق ما يقتضيه، أو كلمة خرجت في غير أوانها، أو لياقة كان يجب أن يتحلّى بها ولم يفعل، فنال بعدها الجزاء اللائق بمثله، ولعل أخطر هذه الاعترافات ما ورد على لسانه في اجتماع اتحاد الأدباء بزعيم العراق عبد الكريم قاسم، فقد ماطل قاسم بالتوقيع على طلب المساعدة للاتحاد الذي أوشك على الإفلاس حتى يتكرم رئيس الاتحاد (الجواهري) بالمجيء وطلبها منه، فحدث في ذلك اللقاء خلاف ما أراد قاسم، وخلاف ما نوى

(١) مذكراتي، ج ٢، ص٩٣.

(٢) يعزز هذا الرأي حضور الجواهري قبل ذلك مؤتمر السلام الأول الذي أقامته جمعية السلام العالمي في بولونيا عام ١٩٤٨ (الجواهري في العيون من أشعاره، ص٣٦).

(٣) مذكراتي، ج ٢، ص٩٦.

الجواهري، الذي أوكل كلمة الوفد لصالح خالص، ومن هنا جاء الندم، وهو ندم سبق أن حل به عندما أوكل لخالص إلقاء كلمة الوفد العراقي في الكويت، " لقد كان من المفترض في خالص أن يدرك موقفي الخشن هذا وأن يقنعني على سبيل المثال أن ذلك شيء غير مقبول لي ولعبد الكريم قاسم نفسه أيضاً، وبدلاً من ذلك فقد استغل مع الأسف هذه الهفوة مني وأساء استغلالها، فقد أطال حتى لكأنه شبه جائع إلى لقمة دسمة"(١).

بيد أن الأمر لم يقف عند هذا الخطأ، فقد تبعه آخر أكثر فداحة وأشد غرابة "وكانت الكفاية أن ينتهي الحديث والمقام أيضا وأن نستأذنه بعد أن يرفع دفع المنحة المقررة لاتحاد الأدباء وأن ننصرف بسلام، ولكن وللأسف فقد كانت أم الخطايا، فللحق والحقيقة لا أدري ولا أتذكر وأنا أريد الائتمان فيها أقول، كيف تسلسل الحديث وبأي ذيل من ذيوله كانت كلمتي هذه البادرة والهادرة معا، وإذ بي وأنا أقول ما لا يصح أن يقال وبالحرف نفسه: يا سيادة الزعيم – ثورة وبشرطة نوري السعيد(٢)، كلمة كبيرة حقا – بل ونابية أيضا.. لكنها اندفاعة الشاعر المكبوت، جملتي كانت على صغر حجمها وعلى بداهة ارتجالها فظيعة جدا، واحتقن وجه الرجل وارتجفت شفتاه حتى ليكاد الزبد يلتقط منهما ليقول: (وأنت من بقايا نوري السعيد) على دمي واشتعل وجهي انفعالا فقلت له: من دون تفكير فيما أقول وبالحرف الواحد: أنا يا فلان .. إنني أتحداك"(٣).

---

(١) مذكراتي، ج ٢، ص٢٦٠.

(٢) نوري السعيد سياسي عراقي تولى منصب رئيس الوزراء في عهد الملكية في العراق، قتل في انقلاب ١٤ تموز سنة ١٩٥٨م على يد مرافقه السابق وصفي طاهر بعد أن حاول الانتحار خشية تعرضه للتنكيل والإهانات (نوري باشا السعيد من البداية إلى النهاية، محسن محمد المتولي العربي، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٥١٥).

(٣) مذكراتي، ج ٢، ص٢٦١.

وهو بهذا التحدي وجد نفسه أمام أمرين أحلاهما مرّ؛ البقاء في جوار الزعيم الذي لن يغفر له هذا التصرف، أو طلب الرحيل إلى المنفى، "ولم يكن مني إلا ما يجب أن يكون لأقول له: إنني يا سيادة الزعيم آسف أن حدث ما لم يخطر لي على بال، أما وقد حدث فكل ما ألتمسه هو أن تسمح لي بمغادرة العراق أميناً مؤتمناً كما تعدني فلم يكن منه إلا بما يشبه النفي..

ولو كنت داعيا على نفسي وهي في أشد حالة من انفعالاتها لطلبت كل شيء إلا أن يسمح لي الزعيم الجريح أن أسلم بجلدي قبل أن يثأر مني بكل ما عسى أن يبرئ من جراحه وبكل ما تثخن به جراحاتي"[1].

كان النفي عند الجواهري حلاً لهذه المعضلة؛ التي اعترف بأنه وقع فيها بسبب جرأته على عبد الكريم قاسم، الذي قال فيه فيما بعد:

ورمـــى بنـــا خلـــف الحـــدود كأننـــا بُـــرُدٌ إلـــى الأمـــصار عجلـــى تـــرزمُ

ذلك النفي ليس فيه ما يؤلم سوى البعد عن الوطن بفراته ودجلته؛عن الأصدقاء والأحبة، أما براغ المدينة فيكفي أن يصف الجواهري فترة مكثه فيها بقوله: "وبالرغم من قضائي الفترة الطويلة والرفيهة في براغ إلا أنها بدت لي غاية في القصر، وكأنها الحلم الطائف"[2].

أما صلاح خالص شريك الأخطاء السياسية المتكررة فظل قريباً من قلب الجواهري حتى وفاته، فقد كان وده خالصاً لصلاح، يؤكد هذا الود قصيدة أهداها له بعد أكثر من عقدين من الحادثتين:

أصـــلاح لـــم تبـــرح صـــفيّ هـــوىً

صـــدق إذا مـــا الكـــاذب انتكـــسا

(١) السابق، ج ٢، ص٢٦٣.
(٢) مذكراتي، ج ٢، ص٢٩٠.

مـا أنفـك يومـك مثـل أمـسك، عـن غـد

كلفـــاً بحـــب الخيـــر منغمـــسا

تـــشتتُّ ضـــوء الفجـــر ترقبـــهُ

وتميـــز خيطيـــه إذا التبـــسا[1]

المبحث الثاني : (تقنيات السرد في مذكرات الجواهري):

كتب الجواهري مذاكرته بلغة الصحافي لا الأديب الشاعر، فجاءت واضحةً سلسة، خالصة من السجع والمجازات، إلا ما جاء منها عفو الخاطر، فالجواهري في هذه الكتابة انتصر حبه للصحافة على صنعة الأدب، وهذا في رأيي له مما يبرره؛ ففي هذه السن المتقدمة ليس بوسع الجواهري التعبير بأسلوب أدبي رصين وهو يعاني من تكاليف الحياة بعد أن جاوز الثمانين، وأصبح وينظر إليها بعين الراصد لا الواصف، كما أن المذكرات في أصلها – خاصةً إذا كانت حافلة بالاعترافات – تجنح إلى سهولة التعبير، فهي تساعد على (الكشف)، والمجابهة تُعرض بوضوح لأنها تعمد إلى تبيان الحقيقة لا تجميلها.

ومع ذلك استخدم الجواهري في هذا المذكرات بعض التقنيات السردية، التي جعلت من هذه المذكرات مادة مشوِّقة ومسلية يخرج فيها القارئ من مرحلة إلى مرحلة تالية بسلاسة ودون ملل، وذلك من خلال استخدام التقنيات السردية التالية:

أولاً – السرد الذاتي: تقوم المذكرات من بدايتها حتى نهايتها على السرد الذاتي الذي يقدّم الأحداث من وجهة نظر الراوي (صاحب المذكرات)، ويظهر هذا من استخدام ضمير المتكلم في جميع الاعترافات التي وردت في مذكرات الجواهري، فليست هناك فسحة لتعدد الأصوات في المذكرات عامة، وفي الجزء الذي يخصنا من الاعترافات على وجه الخصوص.

---

(١) الجواهري في العيون من أشعاره، ص٦٦٧، ٦٦٨.

نجده هنا وهو يتحدث عن مراهقة مرهقة مرَّ بها، ولا يريد أن يجعل الحديث عنها عاماً كمرحلة عمرية معينة مليئة بالمنعرجات الخطرة، "لقد كانت المراهقة عندي ذات تأثير مباشر حاد على حياتي اللاحقة، في بيئة مثل النجف حيث لا يوجد فيها ما ينفس عن الإنسان، حتى عن حيوانياته، وليس عن شهواته فحسب، وكنت أريد ذلك ولكن بالشكل الطبيعي المألوف والتقليدي القديم المتوارث، وهو الزواج"(١).

كان الحديث واضحاً ومباشراً فهو ابن بيئة (منغلقة)، ويؤكد على أن مطلبه واحد ومحدد ويتماشى مع ما تعرفه تلك البيئة، ويحث عليه الدين والأخلاق؛ وهو الزواج.

يعود بعد ذلك ليؤكد تلك الفكرة، ويظهر فيها ضمير المتكلم هذه المرّة نرجسياً معتداً بذاته، فهو المُطَارد لا المُطارِد، وهو المزهو بالشباب والمال بفضل تبدّل الأمكنة، فقد انتقل في هذه المرحلة من النجف المحافظة، إلى بغداد المنفتحة بحسب معايير تلك الحقبة "من يصدّق، وأنا حينئذ في الذروة من ريعان الشباب، بل وفي الذروة من سعة الجيوب للدراهم والدنانير ومن طيلة الفترة التي كانت لي فيما بين السفرتين أنني لم أذق المرأة، وأتذكر أكثر من واحدة كانت تريد أن تتذوقني"(٢).

ثانياً – الاسترجاع: وهي بحسب جيرار جنيت "كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة"(٣)؛ حيث يلجأ كاتب السيرة الذاتية – غالباً – إلى سرد الحكاية من بدايتها، لكنه قد يعطي حكماً عاماً عن مرحلة معينة في

(١) مذكراتي، ج ١، ص١٣٠.

(٢) مذكراتي، ج ١، ص١٢٩.

(٣) خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ت. محمد معتصم وآخرون، ط٢، ١٩٩٧، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة،ص٥١.

حياته، يجمل فيها القول ويلخّص فيه المرحلة، وهذا يظهر عند حديث الجواهري عن مرحلة الطفولة "وغالبا ما كانت ذكرياتي عن هذه الفترة مريرة، وكثيرا ما اختلطت هذه المرارة بالسخرية. ولست أريد بهذا أن أنكر اللقطات الحلوة منها، أو الساعات والأيام والليالي التي خلفت هي أيضا ذكرياتها عندي بما يشبه المعادلة. وإذا نسيت كل تلك اللقطات فلن أنسى لقطة العشق بكل ما في كلمة (العشق) من معنى، لدى الشباب المراهق، ولكنه هذه المرة كان من صبي في السابعة من عمره"(١).

نجده بعد ذلك وهو يستخدم تقنية الاسترجاع الماضوي بعد حديثه عن فترة شبابه التي قضاها في بلاط الملك فيصل حيث كان ينعم بالمال والمكانة معاً، ومع ذلك يتعجب من نفسه أنه لم يذق المرأة، فيقف عند هذه المفارقة، ويعود في ذاكرته إلى تلك اللحظة الفاصلة في حياته مع المرأة الأولى والمرّة الأولى في الغواية، وينص على تلك المدة وكأنه كان يجد في دقة حساب السنين أهميةً ولذةً لا تقل عن الحدث نفسه، "بهذا أستبق الزمن لأعود إلى ما قبل ذلك بأكثر من سبع سنوات إلى التحدّث عن أول امرأة تذوقتها"(٢).

ثالثاً – العنوان: للعناوين في مذكرات الجواهري دورها الملموس في الكشف والإحالة إلى مواطن البوح التي أراد أن يحيلنا إليها، ومع هذا فالعناوين عند الجواهري ليست على سجيتها، "لأننا في الوقت الذي نكتشف في العنوان إحالة إلى مرجعية معرفية أو دينية أو اجتماعية أو سياسية أو حتى نصية، قد نجد في العنوان بعداً رمزياً دالاً أو مغزى ما"(٣).

---

(١) مذكراتي، ج ١، ص٣٩.

(٢)السابق، ج ١، ص١٢٩.

(٣) سيمياء العنوان، بسام قطوس، ط١، ٢٠٠١، وزارة الثقافة، عمّان، ص١٤٧.

ولعلنا حين نتتبع العناوين التي أذاع تحتها اعترافاته في المذكرات، نجد شيئاً من تلك الرمزية والدلالات التي تحلل لنا نفسية الجواهري وهو يعترف، فنجده مثلاً يضع حادثة الاعتداء بالمقوار، والسرقات تحت عنوان (جذوة الطفولة)، والجذوة في معاجم اللغة تعني الجمرة الملتهبة[١]، والطفولة بمعناها العام تدل على الوداعة، وتقترب من عالم الأحلام والخيالات والبراءة أكثر من اقترابها من أي عالم آخر، فضلاً عن عالم ملتهب، وهي بهذا العنوان تدل دلالة قطعية على طفولة مختلفة، فيها من صعوبة الحياة، وقسوة البيئة، وجسارة الطفل الصغير ما يبرر للجواهري هذا العنوان الملفت.

يشير إلى هذا المعنى في مكان آخر من المذكرات، ويقول: "وفيما كانت تمليه على أجواء الطفولة البريئة التي تتلقف كل ما يُملي عليها، وبخاصة فيما لا يتصل وإن بخيط واحد من فطرتها وطبيعتها، وفيما كان من تلقينها الدرس الأول في الاعتداء ب «المقوار الصغير» وفيما امتد بعد ذلك شيئا فشيئاً إلى ما كانت تمليه عليها البيئة والمحيط والشارع"[٢].

أما حادثة العشق فقد أوردها تحت: (عاشق في الثامنة)، وهو عنوان يحمل دلالة مباشرة على علاقته البريئة بابنة عائلة (الهويدي) التي جاورتهم زمناً، وقد تقدّم وصف هذا الجامح العنيف من طفل الثامنة لفتاة تكبره بعشر سنوات على الأقل، وقد أورد تحت هذا العنوان قصة سرقة الفحم لغلي سماور الشاي في رحلة شارك فيها بيت محبوبته متاعها ومتعتها، هذه الحادثة لأنها من عاشق في الثامنة – وهذا سن لا يعرف فيه المرء ماهية العشق وتبعاته – جاءت مبرأة من أثم السرقة، "كيف تأتى لهذه الذكرى أن تندس بسحر ساحر، بين تلك الذكريات! فما

(١) المعجم الوسيط،إبراهيم أنيس وآخرون، ط٤، ٢٠٠٤، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية،القاهرة، ج١، ص١١٤.

(٢) مذكراتي، ج ١، ص٥٧.

أجملها صورة مبرأة بل وملهمة للسرقة، سرقة ما يقدر عليه العاشق لإرضاء المعشوق"[١].

ولا أدري هل أراد بهذا العنوان أن يوثق علاقة العشق (النادرة)، أم أنه أراد أن يخفف وطأة الاعتراف بالسرقة، بسبب حداثة السن، ونبل النوايا.

(المرأة الأولى)، بهذا العنوان بدأ حكاية الغواية الأولى، وكأنه أراد أن يمنح هذا المرأة أولوية لم تنلها بنت الهويدي وغيرها، فقط لأن هذا المرأة اجتهدت في غوايته حتى حدث ما عبّر عنه بكلمة (تذوقتها)، وتحت هذا العنوان أورد قصته مع الشيخ الذي تشفَّع له لدى المرجع الديني، ثم استولى على المبلغ الذي كان من المفترض أن يكون مهراً لخطيبة الجواهري، وكادت أن تكون (المرأة الأولى) في حياة الجواهري الزوجية لولا الفعل الشنيع للشيخ الذي ظل مجهول الاسم حتى يومنا هذا، مع ما تركه من غصة في قلب الجواهري.

والملفت في هذه العناوين أنها عناوين شعرية بامتياز، ولولا أنها في سياق المذكرات لظن قارئها أنها لقصائد، وهذا بطبيعة الحال يتناسب مع موضوعاتها، والاعترافات التي تضمّنتها، وهذا نابع من إدراك الجواهري لأهمية العنوان، وأثره في المتلقي، "فهو عتبة أولى من عتبات النص، وعنصر مهم في تشكيل الدلالة، وتفكيك الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج قصد إضاءة الداخل"[٢].

أما خارج (الاعترافات) فقد بدأ الجواهري في استثمار هذه التقنية في عنوان سيرته الذاتية (مذكراتي)، ومفهوم المذكرات "نظرة إلى الوراء أو على الأقل نظرة خارج النفس للبحث عن شهادة حول حقيقية زمنية: التاريخ، فردياً أو جماعياً أو تسلسل الأحداث"[٣]، وهي تكتب غالباً بأقلام السياسيين والقادة، وإن جاز لنا

(١) السابق، ج ١، ص٥٧.

(٢) سيمياء العنوان، ص٥٣.

(٣) الأدب والأنواع الأدبية، مجموعة من الأساتذة، ت. طاهر حجار، قدم له: محمود الربداوي، ط١، ١٩٨٥م، دار طلاس للنشر،دمشق، ص٣٣.

إدراجها ضمن فن السيرة، وهي كذلك في المفهوم الشامل للفن، فينبغي علينا معرفة سرّ هذا الاختيار، وهو – من وجهة نظري– يعود إلى شغف الجواهري بالسياسة، فهو سياسي سبق له العمل في التشريفات الملكية، وكان نائباً في المجلس النيابي، وشهادته على العصر – بناءً على ما سبق – جديرة بالاهتمام والتأمل.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة اعترافات محمد مهدي الجواهري في مذكراته، وتوصَّلت إلى ما يلي:

١- أراد الجواهري لهذه المذكرات أن تكون مغايرة للمذكرات التي كتبها الأدباء العرب قبله، فجاءت متأثرة باعترافات جان جاك روسو، وبالنمط الغربي في كتابة السير الذاتية.

٢- حاول الجواهري في اعترافاته المختلفة أن يظهر كما هو، بكل حسناته وسيئاته، وترك للقارئ الحكم على تلك المرحلة بكل ما فيها.

٣- لغة الجواهري في مذاكرته كانت واضحة وبسيطة، وهي بميلها إلى لغة الصحافة تتناسب مع الاعترافات التي تحتاج إلى البساطة والوضوح.

٤- تعددت مجالات البوح في المذكرات، لكن نالت الاعترافات السياسية – التي تمَّ الاكتفاء بذكر أهمها – جل اهتمام الكاتب؛ لدورها في تشكيل حياة صاحب المذكرات، وأثرها العميق في نفسه.

٥- جاءت الاعترافات الأخلاقية جريئة وخارجة عن المألوف، خاصةً فيما يتعلق بمراهقته وشغفه بالخمر والنساء.

٦- أظهرت بعض الاعترافات الاجتماعية شخصية الجواهري المشاكسة والمتمردة منذ الصغر، مثل حادثة الاعتداء بالمقوار وحوادث السرقة، واتسمت في مجملها بالطرافة.

٧- استخدم الكاتب بعض التقنيات السردية في مذكراته، وأجاد في اختيار العناوين، وفي الاسترجاع وربط الأحداث ببعضها، واعتمد على السرد الذاتي من بداية المذكرات حتى نهايتها.

٨- توقفت المذكرات عند زمنٍ يسبق زمن كتابتها بكثير، ويبدو أن الجواهري تعمد هذا خوفاً من تبعات حديثه عن فترة حكم (حزب البعث).

ختاماً: يوصي الباحث بدراسة صورة المرأة في مذكرات الجواهري وشعره، كما يوصي بمزيد من الدراسات عن نثر الجواهري، فله آثار نثرية تستحق عناية الباحثين، وله مسيرة في الصحافة تستحق البحث.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ط٤، القاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.
- الجواهري، محمد مهدي، الجواهري في العيون من أشعاره، ط٤، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٨م.
- الجواهري، محمد مهدي، مذكراتي، ط١، طهران، دار المجتبى، ٢٠٠٥م.
- جنيت، جيرار، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ت: محمد معتصم وآخرون، ط٢، القاهرة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٩٩٧م.
- روسو، جان جاك، اعترافات جان جاك روسو، ت: حلمي مراد، ط١، دمشق- بيروت، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- رووكي، تيتز، في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية، ت: طلعت الشايب، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٢م.
- السامرائي، إبراهيم والمخزومي، مهدي والطاهر، على جواد، وبكتاش، رشيد (جمع وتحقيق)، ديوان الجواهري، ط١، بغداد، وزارة الإعلام العراقية، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٣م.
- شاكر، تهاني عبد الفتاح، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م.
- شرف، عبد العزيز، أدب السيرة الذاتية، ط١، الجيزة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٢م.
- عباس، إحسان، فن السيرة، ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٩٦م.
- عبد الدائم، يحيى إبراهيم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٤م.

- عبيد، محمد صابر، التشكيل السير ذاتي، التجربة والكتابة، ط١، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.
- العربي، محسن محمد المتولي، نوري باشا السعيد من البداية إلى النهاية، ط١، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥م.
- العقاد، عباس محمود، بين الكتب والناس، ط١، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٥٢م.
- قطوس، بسام، سيمياء العنوان، ط١، عمّان، وزارة الثقافة، ٢٠٠١م.
- لوجون، فيليب، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة: عمر حلي، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي،١٩٩٤م.
- ماي، جورج،السيرة الذاتية، ت: أ.د محمد القاضي – أ.د عبدالله صولة، ط١، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م.
- مجموعة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، ت: طاهر حجار، قدم له: محمود الربداوي، ط١، دمشق، دار طلاس للنشر، ١٩٨٥م.
- النقاش، رجاء، بين المعداوي وفدوى طوقان، صفحات مجهولة في الأدب العربي المعاصر، ط٢، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٩٠م.

* * *